



الثورة السورية: خواطر ومشاعر (51)

لا مجاملةً بعد اليوم (4)

السادة أعضاء المجلس الوطني: لستم الوحيدين ولستم الأفضل

شاع في السنوات الأخيرة تعبيرٌ مموج يقول: "لَسْنَا الْوَحِيدُونَ وَلَكُنَّا أَفْضَلُ": ما تركوا خدمة من الخدمات ولا تجارة من التجارات إلا أصقوه بها، وفي رواية أخرى أفلقت عظام سيبويه في قبره: "لَسْنَا الْوَحِيدُونَ وَلَكُنَّا أَفْضَلُ"، وما أدرى كيف يكون الأفضل من لا يقيم لسانه ولا يعرف موقع خبر ليس من الإعراب!

هذا التعبير مرّ بخاطري وأنا أفكر بمجلسنا الوطني الموقر وعثراته الكثيرات التي أتعبت المُقيلين حتى لم يعد لها مُقيل، وفكرة فقلت لنفسي: لو أنني قلت لهم، ولو أنني أخرجت مكون صدري وتحدثت عن المجلس بما ينبغي أن تحدث، لَهَبَ في وجهي قومٌ من أهل الحماسة والوطنية المفرطة قائلين: الثورة تحتاج إلى المجلس الوطني وهو ضرورة من ضروراتها، فلا يجوز لمحلص أن يُضعف من قيمته في أعين الناس، ولا سيما جماعة "المجتمع الدولي" الذين ما نزال نرجو منهم الخير... يا طول الأمل ويا بُعد الرجاء!

لا تبيعني بضاعتي يا أيها السادة، فهذا ما سوقته أنا نفسي في مقالات كثيرة، وإن لأقرّ - غير منكر - أن الثورة بحاجة إلى المجلس الوطني، تماماً كما أقر بحاجة سوريا إلى رئيس. لكنني لا أجد ما يلزمني بالموافقة على بشار ليكون هو الرئيس، وكذلك لا أجد ما يلزمني بالموافقة على فلانة وفلان وعلان ليكونوا أعضاء في المجلس الوطني. هل فهمتم الحكاية؟ إذن دعوني أكمل المقالة.

* *

إن سوريا تدخل اليوم عصراً جديداً تريد أن تخلص فيه من إرث الماضي الكئيب، وإن من ذلك الإرث أن يعلو الكبيرُ على المسائلة وأن تمر الكوارث بالأمة بلا حساب. في العالم المتقدم - الذي نرجو أن تكون جزءاً منه منذ اليوم - يستقيل وزير إذا تصادمقطاران، أما في العالم المتخلف - الذي نرجو أن نفارقه إلى الأبد - فإنهم يشنقون جثة سائق القطار! في العالم

المتقدم تستقيل الوزارة كلها إذا أخفقت في معالجة مشكلة من مشكلات الأمة الكبار، فدعونا نتظاهر - ولو قليلاً - بأننا صرنا متقدمين، ولنسأل عما صنعه المجلس الموقر بمشكلة سوريا الكبرى خلال الشهور الماضيات.

لا أقول إنكم لم تصنعوا شيئاً، إنني إذن لظالم، لكن الذي لا تصنعون - مما ينبغي أن تصنعوا - أقل مما تصنعون، فإنْ كان ذلك من ضعف فاتركوا المكان لمن هو أقوى منكم، وإن كان من قلة دأب في العمل وصبر عليه فإن في الناس من هو أداء وأصبر. تذكروا أنكم لستم الوحيدين الذين يمكن أن يكونوا أعضاء في المجلس، وتنذكروا أنكم لستم الأفضل من بين الناس.

ثم إننا نتابع تقاريركم الإخبارية التي تصف ما تصنعون، وقد لاحظنا أن ما صدر عنكم من بيانات لتبرير زلات وخطئات بعض الأعضاء يكاد يزيد طولاً وعرضًا على ما أصدرتموه عن حي بابا عمرو في محتته التي استمرت شهراً، كل يوم من أيامه طولها دهرٌ على الساكدين فيه والساكنات، وما تزال المحنّة مستمرة إلى هذه الساعة. بل دعوني أنبئكم بما يطرد عن عيني النوم في كل ليلة: إنني كنت أشتاهي - لو جاز هذا التعبير - أن يستمر قصف الحي شهرًا آخر ولا يكون ما يكون فيه في هذه الأيام الخمس الأخيرات، مما علمنا منه الأقل وما سنعلم عنه الكثير في الآتي من الأيام.

إن المحنة ما تزال في بابا عمرو كما هي أو أشد، فماذا تصنعون لوقف المحنّة؟ بالله عليكم خبرونا. هل تتصلون بالحكومات الأجنبية والهيئات الدولية والمؤسسات الإغاثية كل يوم عشر مرات؟ هل تشترون لمجاهدي حمص سلاحاً يدافعون به عن أنفسهم وأعراضهم وترسلونه تهريباً من تركيا أو لبنان؟ هل ترسلون الأدوية والأجهزة والمعدات الطبية التي يحتاجون إليها هناك حاجتهم إلى الماء والغذاء؟ أرجوكم أخبرونا ببعض ما تصنعون، لعلنا ندعوا لكم ونبذل لكم الشكران ونُظهر العرفان.

* * *

أيها السادة: ألا ترون أنكم لم تقدموا إلى الثورة شيئاً يذكر إلى اليوم؟ لا أستغرب، فإني ما سمعت منكم مَن تستضيفه قناة أو يظهر على فضائية فيبدأ باسم الله؛ تحامون ذكر الله والبدء باسمه كما يتحامى الصحيح المُسلول خوفاً العدو! لا جَرم - إذن - أن عملكم أبَرَّ، وسيظل أبَرَّ منقطعاً لا يَتَمَّ ما دمتم تسلكون هذا المسلك المعوج! قد تقولون - أو يقول كثيرون -: ما له بهتم بهذه المظاهر والشكليات؟ وجوبي: إذا لم يكن حرصكم على هذه الشكليات إلا مجاملة لإخوانكم التائرين فكفى به من سبب. إن كنتم تمثّلون ثورة سوريا فإن الثوار خرجوا إلى ثورتهم باسم الله وعلى بركة الله، فإذاً أن تُحسِّنوا التمثيل أو يجدوا السبباً!

السادة أعضاء المجلس الوطني: ما كانت سوريا عقيماً في أي يوم مضى من تاريخها الطويل ولا هي اليوم عقيم، وإن بلاداً أنجبت عباقرة الرجال على مر الزمان يمكنها أن تنجو آلافاً ومئات آلاف يصلح كل منهم عضواً في مجلس وطني، فأحسنوا السيرة وأحسنوا قيادة المسيرة، أو أفسحوا لغيركم الطريق.

المصدر: الزلزال السوري

المصادر: